

النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال بعض تقارير الاستخبارات الفرنسية 1954-1956 .

أستاذ مؤقت : خيش عزيز .

جامعة البويرة .

ملخص المقال :

أمام محاولة احتكار ممارسة النشاط السياسي أثناء الحركة الوطنية الجزائرية لا سيما من 1919 إلى 1954 - و ما انجر عنه من فضل تفجير الثورة - لتنظيم حزبي معين وإقصاء آخر منه، فإن، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت أكثر من عانت من محاولة هذا الإقصاء . تعتبر هذه الجمعية التي تعتبر من بين أبرز التنظيمات التي كانت تنشط في الساحة الثقافية والإصلاحية بالجزائر منذ تأسيسها في 5 ماي 1931 تحت رئاسة الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس، والتي لم يكن يضاهاها نشاطا أي تنظيم آخر في هذا الحقل .

إن اهتمام الجمعية وتركيزها على النشاط الإصلاحي لم يمنعها من الخوض في أمور وقضايا ذات صلة بالوضع الذي كان يعيش فيه الشعب الجزائري تظهر من خلال عناوينها بأنها سياسية من اختصاص الأحزاب السياسية . بحيث كانت لها علاقات ومواقف صريحة من بعض القضايا السياسية والتي كانت تتقاطع فيها كثيرا مع بعض الأحزاب السياسية .

الكلمات المفتاحية :

- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .
- نشرية المسائل الإسلامية .
- حزب الشعب الجزائري .

فرحات عباس .

الاندماج .

تونس .

المغرب .

مصادر البحث : مجموعة تقارير سرية للشهور التالية :

- نشرية فيفري 1954 .

- نشرية أفريل 1954 .

- نشرية أوت 1954 .

- نشرية نوفمبر 1954 .

- نشرية أفريل 1955 .

- نشرية جانفي 1955 .

- نشرية مارس 1955 .

- نشرية مارس إلى أكتوبر 1956 .

- نشرية جويلية 1954 .

- نشرية ماي - جوان 1954 .

- نشرية ماي - جوان 1955 .

- نشرية جويلية - أوت 1955 .

- نشرية ديسمبر 1954 .

- نشرية نوفمبر 1955 .

- نشرية فيفري 1956 .

- نشرية ديسمبر 1955 .

- عاشور شرفي : قاموس الثورة الجزائرية 1954-1962، ترجمة عالم مختار،

دار القصبية للنشر، الجزائر 2007 .

إن ما ينبغي التنبيه إليه قبل الولوج في عرض هذا البحث هو أن مادته مستقاة بالأساس من وثيقة أرشيفية كانت تصدرها هيئة استخباراتية فرنسية تابعة للمكتب الثاني للحاكم العام الفرنسي بالجزائر تحمل اسم "مصلحة الربط شمال افريقيا " (Service des Liaisons Nord- Africain)، التي كانت تجمع تقاريرها السرية في نشرية شهرية خاصة ترسلها للحاكم العام تحت اسم "نشرية شهرية للمسائل الإسلامية" .

حسب التقارير المتوفرة لدينا فان هذه النشرية بدأت تصدر في جانفي 1950 واستمرت إلى غاية سنة 1957 تاريخ حل المصلحة التي كانت تشرف عليها، لكن مجموعة التقارير التي اعتمدت عليها هي خاصة بسنوات 1954، 1955، 1956 فقط بحكم تسلسل صدور هذه التقارير دون انقطاع عكس بقية السنوات الأخرى .

لقد سال حبر كثير حول نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين السياسي بين مؤيد عليه وناقد له، غير أن الملاحظ على الكثير من الكتابات التي تناولت هذا الموضوع هو افتقادها للموضوعية وخضوعها للذاتية والرؤى الحزبية الضيقة الأمر الذي انجر عنه توجه وطرح ينفي هذا الدور وصل حد الإنكار، بل حتى الاتهام بتعطيل المشروع التحرري، يقابله بنفس القدر من المغالاة طرح آخر يثبت هذا الدور ويؤكد عليه يصل إلى حد يعطي الانطباع بأن الجمعية كانت حزبا سياسيا خالصا وما تسميتها بالجمعية إلا تورية على هذا النشاط فقط .

للابتعاد عن هذا التجاذب والتنافر في الآراء حول هذا الموضوع، نحيل الحكم على هذا الدور والنشاط الذي قامت به الجمعية إلى طرف محايد تعامل بشكل كبير واحتك بقرب واهتم عن كثب بالجمعية ونشاطها داخل الجزائر

وخارجها مما أتاح له الإحاطة بجوانب كثيرة لهذا النشاط وإدراك إبعاده، وهو ما تحقق للإدارة الفرنسية التي كانت تراقب الجمعية في كل حركاتها وسكناتها منذ تأسيسها... ولاسيما بعد اندلاع الثورة وما تبعها من تطورات

1- علاقة جمعية العلماء بالأحزاب السياسية الأخرى :

إن أول ما تحيله علينا التشريعية بهذا الخصوص هو ما طالعنا به تقرير شهر فيفري 1954 الذي يشير إلى أن الجمعية بعد مغادرة الشيخ الإبراهيمي للجزائر (1952) توقفت عن التدخل المباشر في الحياة السياسية، وبأن شيوخها ابتعدوا عن السياسة إلا على الصعيد الشخصي حتى لا يخاطروا بتعريض الجمعية إلى المسؤولية، الأمر الذي جعل القائمين على هذه التشريعية يعتقدون بأن الجمعية تريد أن تبقى في مجالها الإصلاحي، وليس هذا فقط وإنما رأوا أيضا بأن الجمعية قد تبنت موقفا حياديا في الكثير من القضايا، حتى يعطيها هذا الموقف على الأقل إمكانية التحكيم بين الأحزاب الوطنية .

إن هذا الذي سبق قد يعطي انطبعا بأن الجمعية كانت معتزلة للنشاط السياسي، أو على الأقل بعيدة عنه، غير أن هذه الوثيقة بما فيها تقرير هذا الشهر قد حفلت بالإشارات التي تفند عكس ما ذهب إليه بخصوص بقاء الجمعية في مجالها الإصلاحي واعتزالها للسياسة، أين تؤكد انخراطها المباشر والغير المباشر في الحياة السياسية، وهو ما سنحاول استعراضه هنا بناء على ما ورد في التقارير الشهرية لهذه التشريعية⁽¹⁾، وذلك بتتبع مسار الجمعية من خلال النشاط السياسي لشيوخها الرئيسيين داخل وخارج الجزائر حيث يتبين تدخلها المباشر في هذا

(1) لقد عرضت التشريعية مواقف سياسية عديدة للجمعية في معظم التقارير الشهرية للسنوات المعنية أين ضمت فهارستقاريرها عنوان موسوم ب "الموقف السياسي" .

المجال . بداية من التعرض إلى العلاقة التي جمعت هذه الأخيرة بباقي الأحزاب السياسية الأخرى في الحركة الوطنية لاسيما حزبي حركة انتصار الحريات الديمقراطية MTLD، والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري UDMA، لتركيز النشوية على هاذين التنظيمين دون الحزب الشيوعي الجزائري PCA .

إن ما تجدر الإشارة إليه بخصوص العلاقة بين الجمعية وهذين الحزبين، وحتى فيما بين هذين الحزبين على ضوء ما ورد في هذه النشوية هي أنها لم تكن على ما يرام، غير أنها أشارت في الكثير من المناسبات إلى أن الجمعية حاولت التوفيق بين هذين الحزبين، ولم شمل كل الأحزاب في كتلة سياسية واحدة، هذا التوجه الذي هو في الحقيقة ليس بجديد على الجمعية التي لها تجارب سابقة في هذا المجال (2) .

بالنسبة لعلاقة الجمعية بحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية MTLD تشير نشوية نفس الشهر إلى أن الكثير من مسيري الجمعية أبدوا امتعاضهم من الاستغلال الذي كان يقوم به ويمارسه مناضلو هذا الحزب بالجزائر، وهو ما كشف عنه الإبراهيمي في تصريح له بخصوص الاتحاد بين الأحزاب الوطنية في الجزائر بعدما أجرى في العراق حوارا مع مراسل من MTLD أخفى على الشيخ انتماءه لهذا الحزب، ليشتعل هذا التصريح نار الفتنة بين الجمعية وهذا الحزب بالجزائر، حيث أعلنت إدارة هذا الأخير مناضليها بأن "المواجهة" قد بدأت مع الجمعية بسبب هذه الحادثة، لتقوم بعد ذلك بحملة تشويه وتضليل ودعاية ضد الجمعية، الأمر الذي ألزم إدارة الجمعية أن توظف كل وسائلها للحد من تأثير هذا التصريح وتداعياته، مما استدعى عودة توفيق المدني إلى وهران لحماية الفروع

(2) التجربة الأولى كانت مع المؤتمر الإسلامي سنة 1936، والثانية سنة 1943 مع أحباب البيان، والثالثة مع لجنة الدفاع عن الحرية واحترامها سنة 1951 .

التابعة للجمعية من أعمال مناظلي MTLD (3) . لتظل الأجواء نفسها بين التنظيمين إلى غاية أفريل من نفس السنة ولم تتغير (4) .

أما بالنسبة لعلاقة الجمعية بحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري UDMA فترى النشورية بأن تعاطف الجمعية مع هذا التنظيم في تراجع مستمر (5) . وبأن مواقف مسيري الجمعية ما لبثت أن تحولت إلى عدائية اتجاهه، ذلك لأنهم كانوا يرون بأن فرحات عباس يلعب دورا مزدوجا (ذو وجهين) (6) .

هذا ويبدو لنا بأن من بين أسباب توتر العلاقة بين الجمعية وبقية الأحزاب في الجزائر انطلاقا من النشورية راجع بصفة عامة إلى عدم رضى الجمعية بمستوى الأداء السياسي لهذه الأحزاب، لاسيما وأن الحركة الوطنية عرفت في هذه الفترة وما سبقها انسدادا وتأزما سياسيا كان في نظر الجمعية بأن من نتائجه عجز هذه الأحزاب عن تحقيق ما قامت به الأحزاب المغربية في هذه الفترة بالذات (1954)، أين كانت تعيش كل من الجارتين تونس والمغرب فترة غليان شعبي كانت من ورائه هذه الأحزاب التي أحدثت حسب شيوخ الجمعية عواصف سياسية كانت تمثل بداية النهاية للاستعمار الفرنسي في نظرهم بهذين البلدين . في حين أن

(3) تلمح هذه النشورية إلى أن أسباب هذه الحادثة تعود بالأساس إلى غياب التنسيق والوحدة في العمل بالنسبة للجمعية على صعيد التكتيك السياسي بسبب الغياب الطويل للشيخ الإبراهيمي . ومن جهة أخرى تقدم تبريرا براغماتيا لما بدر من الإبراهيمي، حيث رأت بأنه كان لزاما عليه حتى يحصل على الدعم المالي من الدول العربية أن يوحد جميع القوى المعادية للاستعمار في الجزائر، هذه الوحدة التي لا يجب أن يكون فيها حزب الشعب الجزائري PPA، لأن هذه الدول ليست لها أي رغبة في دعم هذا الحزب الأخير . دون أن تذكر السبب، وهذا ما يتطلب أدلة تثبت هذا الأمر وإلا سيظل تحليلا مغلوطا وتفسيرا فجا . أنظر : نشورية فيفري 1954، ص، ص14،15 .

(4) نشورية أفريل 1954، ص44 .

(5) نشورية فيفري 1954، ص14 .

(6) نشورية أفريل 1954، ص43 .

الأحزاب الجزائرية بسبب موقفها السلبي المتخاذل من القضية الوطنية كاد أن يعصف بها وبقضيتها معا، وهذا ما قصده الشيخ بن شيخ حسين عندما قام أمام جمع قسنطيني غفير بالمقارنة بين الوضع السياسي في الجزائر ونظيره بالمغرب الأقصى، أين وصف موقف الأحزاب السياسية في الجزائر "بالموقف الإجرامي" (7) "Criminelle attitude" .

وما يمكن أن نستدل به أيضا على ما ذهبنا إليه ومن خلال النشوية دائما على أن من بين أسباب توتر العلاقة بين الجمعية وباقي الأحزاب يرجع إلى الفشل أو على الأقل التأخر في إعلان الثورة، ذلك أنه فور اندلاع الثورة ستتجه العلاقات بشكل عام بين هذه التنظيمات نحو التقارب، ومن ذلك أن الشيخين الإبراهيمي والورتلاني قاما أيام قليلة فقط بعد اندلاع الثورة في 19 نوفمبر بعد أن حضرا ندوة صحفية عقدها محمد خيضر في 15 نوفمبر بالضغط عليه من أجل التوفيق بين أحمد مزغنة (8)

و حسين لحول (9) رئيسي الأقسام المتنافسة في MTLD (10) .

(7) نشوية أوت 1954، ص90.

(8) مزغنة : ولد بالبلدية سنة 1907، عمل اسكافيا ثم عامل بالترامواي بالعاصمة . انخرط في حزب نجم شمال إفريقيا سنة 1933، حضر المؤتمر الإسلامي بالعاصمة في أوت 1936 . أصبح عضو في اللجنة المديرية لحزب الشعب PPA سنة 1937 . دخل كعضو في اللجنة المركزية للحزب والتي تأسست سنة 1944 . أنتخب نائبا بالجزائر العاصمة مع خيضر عن هذا الحزب في انتخابات 1946 . تشيع لمصالي فيما يعرف "بأزمة حزب الشعب" 1950-1953 . ألقى عليه القبض رفقة الشاذلي المكي =في جويلية 1955 من طرف السلطات المصرية بطلب من جبهة التحرير، ليطلق سراحه قبيل الاستقلال . توفي في المنفى بفرنسا سنة 1982. أنظر : عاشور شرفي : قاموس الثورة الجزائرية 1954-1962، ترجمة عالم مختار، دار القصبه للنشر، الجزائر 2007، ص-ص 325-327.

(9) لحول: من مواليد 1917 بسكيكدة . انخرط في حزب نجم شمال إفريقيا، عمل كمحرر بجريدة " الأمة" . اعتقل عدة مرات . أمين عام لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية منذ 1950 . يعتبر أحد زعماء المعارضة المركزية لمصالي . انضم رسميا إلى جبهة التحرير في جانفي 1955 أين مثلها في بعض الدول

أما مع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري فإن الجمعية وقفت إلى جانبه في الانتخابات المحلية لسنة 1955، أين قدم الشيوخ الرئيسيين للجمعية الدعم لمرشحيه (11) .

هذا وكثيرا ما تكررت الدعوات من الجمعية لباقي الأحزاب من أجل التوحد وتنسيق الجهود وتكييفها حسب ما تقتضيه الظروف بما يخدم المشروع الوطني التحرري، هذا المشروع الذي كان لا يمكن تحقيقه في نظر الجمعية خارج إطار توحيد وتكتل كل الجزائريين على اختلاف توجهاتهم ومشاربهم السياسية (12) . فبعد تأسيس "الجبهة الجزائرية للتحرير" "Front Algérienne de Libération" "FAL" بالقاهرة، والنداء الموجه للشعب الجزائري من طرف أساتذة مصلحين، جمع الشيخ خير الدين بالعاصمة نهاية شهر مارس 1954 ممثلي مختلف التنظيمات الوطنية الجزائرية (ما عدا الشيوعيين) من أجل النظر في تشكيل وتأسيس "جبهة إسلامية" بالجزائر (13)

ومن جهة أخرى أشارت نشرية مارس إلى أكتوبر 1956 إلى أن جهودا حثيثة يبذلها توفيق المدني بمصر (14)، والذي كان كثير التنقل بين العواصم العربية

مثل أندونيسيا وباكستان . انسحب بعد ذلك من المشهد السياسي بعد رفضه كل المناصب السياسية التي عرضت عليه، خاصة تمثيل الجبهة في أمريكا اللاتينية. توفي سنة 1995. أنظر : عاشور شرفي : نفسه، ص،ص 295،294.

(10) نشرية نوفمبر 1954، ص118.

(11) نشرية أبريل 1955، ص56.

(12) نشرية جانفي 1955، ص4.

(13) نشرية مارس 1955، ص45.

(14) تصف النشرية توفيق المدني والشيخ الإبراهيمي والورتلاني والكثير من شيوخ الجمعية خاصة الذين كانوا بالخارج بأنهم سفراء للوطنية الجزائرية، هذا الوصف الذي سوف ينطبق معناه أكثر عند التعرض إلي جهود هؤلاء الشيوخ الساعية إلى حشد الرأي الدولي للقضية الجزائرية بعد اندلاع الثورة لاسيما بين الدول العربية .

سعيًا منه لتأسيس وحدة بين مختلف التوجهات السياسية الوطنية بهدف إنشاء "حكومة جزائرية" بالمنفى⁽¹⁵⁾ .

يبدو مما سبق بأن خيار التوحد في نظر جمعية العلماء بعد اندلاع الثورة بات ضرورة أكثر من ملحة - وهو المبدأ الذي ظل راسخًا في فكر شيوخها منذ تأسيسها- أين كانت ترى فيه بأنه الشرط الأساسي لبلوغ الشعب الجزائري مبتغاه . لذلك كان هذا المبدأ يتحكم إلى حد ما في طبيعة علاقات الجمعية مع بقية الأطياف السياسية الوطنية الأخرى، حيث كان في رأينا عامل له دوره في صياغة هذه العلاقات التي كانت تبنى أحيانا على ضوئه .

2 - البعد المغربي في نشاط جمعية العلماء :

لقد تجاوزت اهتمامات الجمعية ونشاطاتها المجال الجغرافي الخاص بالجزائر، إذ لم تكن منصبة فقط على القضية الجزائرية، وإنما تعدتها لتتنشغل أيضا بالقضايا المغربية (التونسية والمغربية) التي كانت تنظر إليها على أساس أنها قضية واحدة، لاسيما بعدما باتت تعيش الأقطار المغربية الثلاث ظروفًا مشابهة بعد لحاق الجزائر بالركب المغربي الثوري بعد أول نوفمبر 1954.

تنقل لنا النثرية بعض الإشارات لمواقف الجمعية من القضيتين التونسية والمغربية من خلال التعرض بشكل عام إلى نشاطها السياسي بداخل الجزائر وخارجها، من هذه الإشارات هو أنه قبل اندلاع الثورة بالجزائر دأب العلماء في خطبهم على حث الجزائريين للاستلهم من التجربة التونسية والمغربية وذلك بالتتويج لما كان يقوم به الشعبين الشقيقين في هذين القطرين من كفاح في سبيل

(15) نثرية مارس إلى أكتوبر 1956، ص22.

التحرر من الاستعمار الفرنسي، وتوظيفه في دعوة الجزائريين إلى القيام بالمثل وبكل ما يوصل إليه (الثورة) في الكثير من المحاضرات والدروس التي كانوا يلقونها، فهذا الشيخ بن شيخ حسين بقسنطينة في أوت 1954 وجه دعوة ضمنية في هذا المعنى عندما شجب موقف الأحزاب السياسية الجزائرية بعدما قارنه بنظيره في المغرب الأقصى - كما سبق ذكره - . وأيضاً بقسنطينة دائماً وفي 24 من نفس الشهر صرح الشيخ خير الدين بأن الجمعية في حاجة إلى كرم وسخاء المستمعين أين خاطبهم قائلاً : "التضحية التي نطلبها هي أقل بكثير مقارنة بتلك التي يقوم بها الشعب التونسي والمغربي" (16) .

ومن جهة أخرى فقد تعددت صور اهتمام الجمعية بقضية الأشقاء في تونس والمغرب وذلك بتقديم كل ما أمكنها من دعم ونصرتها بما كان متاحاً لها، منها ما أشار إليه القائمون على هذه النشورية بأن إدارة الجمعية قررت في شهر جويلية من نفس السنة أن تعكف على تنظيم حملة لجمع التبرعات لفائدة المغاربة والتونسيين الذين يحاربون ضد الاستعمار، عاملة على تسخير جميع فروعها للقيام بهذه العملية وإنجاحها، وتشير نشورية هذا الشهر بأن هذه الأموال سيتم إيصالها إلى أصحابها عن طريق مبعوث خاص من أجل تفادي الرقابة البريدية (17) .

أما الشيخ مصباح قويدر فقام من جهته ببحث الوطنيين التونسيين والمغاربة لمقاطعة التجار الأوروبيين في المحاضرات التي كان يلقاها في رمضان سنة 1954 بمعسكر (18) .

(16) نشورية أوت 1954، ص90.

(17) نشورية جويلية 1954، ص78.

(18) نشورية ماي - جوان 1954، ص65.

بينما في الخارج قام الشيخان الإبراهيمي والورتلاني بكتابة رسالة لسفير فرنسا بالقاهرة للاحتجاج على المعاملة السيئة التي كان يتعرض لها القائد بورقيبة الذي كان في نظرهما لا يقوم إلا بالدفاع والمطالبة بحقوق بلاده . وتشير النشرة إلى أن هذه الرسالة قد انتشرت على نطاق رحيب بعدما قامت كل صحف القاهرة بنشرها على صفحاتها (19) .

بعد اندلاع الثورة وفي سبيل توحيد جهود كل المغاربة الموجودين بالخارج ولاسيما بالقاهرة من أجل خدمة القضية المغاربية، وسع الإبراهيمي من نشاطه داخل "جمعية الشبيبة الإسلامية" التي نظمت تظاهرة بالقاهرة في 22 ديسمبر 1954 اتهم فيها فرنسا بأنها سبب كل المآسي والبؤس، وصرح محرزا على الجهاد قائلا بأن "الثورة لا تروى بالماء ولكن بالدماء، ثمرتها الحرية" (20) . كما ساهم وشارك في تأسيس "تنظيم" جمع مختلف الأحزاب السياسية المغاربية الانفصالية والذي حمل اسم "اتحاد أحزاب شمال إفريقيا" " Union des Partis Nord-Africains" من أجل نفس الهدف . هذا التنظيم الذي كان يترأس مكتبه الأمير عبد الكريم الخطابي ويضم ممثلين عن الأحزاب -التي وصفتها النشرة بالانفصالية"- التالية : الحزب الديمقراطي الاستقلالي (PDI)، حزب الوحدة المغربية (PUM) للمنطقة الاسبانية، جمعية العلماء، UDMA، والحزب الدستوري القديم (21) .

(19) نشرة جويلية 1954، ص77.

(20) نشرة جانفي 1955، ص2.

(21) تركيبة هذا المكتب كانت كالتالي :

من المغرب : الوزاني إبراهيم من PDI - ناصري ياماني من PUM.

من الجزائر : الإبراهيمي من الجمعية - أحمد بيوض من UDMA .

من تونس : جعفر محمد الصالح ؟ - جرمونة يونس من الدستور القديم .

أما بالداخل أين كان الوضع لا يختلف كثيرا عنه بالخارج فقد كان هناك تواصل دائم من طرف شيوخ الجمعية مع الأشقاء المغاربة والتونسيين عبروا من خلاله عن تضامنهم النابع من إحساسهم بوحدة المصير، بالإضافة إلى ما كان يجمعهم من روابط الأرومة التي كانت تمثل قواسم مشتركة بينهم، هذا الإحساس وهذا التضامن سعت الجمعية جاهدة لترسيخه عند الجماهير، هذا الإحساس الذي كان على المستوى الشعبي أكثر ارتساما وأوفر تعبيراً من خلال سلوكات الجماهير العفوية (22) .

لقد رصد القائمون على هذه النثرية مقالا نشر في جريدة البصائر في شهر جويلية 1955 بمناسبة عيد الأضحى بعض ما جاء فيه : "عندما تصبح فلسطين والجزائر والمغرب مسرحا للأعمال البربرية الظالمة الجائرة، أين يسفك الدم ويعاني الأبرياء يصبح من غير المنطقي علينا أن نعلن تهانينا بالعيد السعيد، ولكن ندعو الله لهم ولمن يعرفهم أعيادا سعيدة في المستقبل" . وفي نفس الشهر تم جمع للأموال تحت شعار "من أجل الذين يقاومون من أجل وطنهم" (23) . ومن جهة أخرى نوهت النثرية بأن السعادة كانت تظهر على مسيري الجمعية بنتائج المواجهات الفرنسية - التونسية (24) .

في حين سجل غياب الأحزاب الرئيسية الثلاث : الاستقلال - حركة انتصار الحريات الديمقراطية (كانت منحلة) - الدستور الجديد . أنظر نثرية مارس 1955، ص، ص43،42.

(22) جاء في إحدى النثریات وصف لبعض أجواء دورة رياضية في كرة القدم نظمها الفرع القسنطيني التابع للجمعية بمناسبة عيد الفطر (ماي 1955) عندما قدم أحد الفرق إلى الملعب وأحضر معه علم كبير جدا لتونس ثم نشره على أرض الملعب الأمر الذي أثار إعجاب الحاضرين الذين كانوا كلهم تقريبا مسلمين (جزائريين) وبدؤوا يصفقون . أنظر : نثرية ماي - جوان 1955، ص71.

(23) نثرية جويلية - أوت 1955، ص78.

(24) نثرية ديسمبر 1954، ص134.

وتدعيما لروح التضامن والتواصل بين العلماء والأشقاء المغاربة، قام الشيوخ التبسي وخير الدين وتوفيق المدني وسلطاني بزيارة للمغرب الأقصى في شهر نوفمبر 1955 دامت ثلاث أسابيع أين نزلوا ضيوفا عند حزب "الاستقلال"، حيث شاركوا في المظاهرات التي نظمها هذا الحزب . وخلال الاجتماع الذي عقد بالرباط على شرف الجزائريين المقيمين بالمغرب تم قبول وتبني اقتراح يهدف إلى تصفية وثائق الدولة المدنية ذات الصفة "الفرنسية - الإسلامية" وتعويضها بأخرى "إسلامية - جزائرية" . وفي نفس المدينة في 19 نوفمبر وبعد إلقائه لخطاب عنيف جدا ضد فرنسا أجرى توفيق المدني حوار مع جريدة يومية مغربية "العلم" أين صرح بما يلي : " ... أول نوفمبر 1954، الجزائر والمغرب توحدتا في الكفاح المسلح ... والهجمات التي جرت في الجزائر بتاريخ 20 أوت الأخير لم تكن مجرد مصادفة ... " (25) .

وعلى اثر اتصالات قام بها العلماء بالمغرب طرحت قضية إنشاء "لجنة تنسيق للعلماء المصلحين" في كامل بلاد المغرب (26) .

ودائما مع بعثة الجمعية للمغرب تنقل نشرية ديسمبر بأن الجمعية قد جمعت خلال إقامتها هناك 40 مليون فرنك، في حين أهدت للسلطان هدايا مختلفة من بينها مصحف وسجادة مطرز عليها أبيات شعرية كتبها توفيق المدني قال فيها : " الحرية للمغرب الشقيق سيثير الجزائر في أجل قريب جدا، انه بواسطة الوحدة

(25) في إشارة واضحة منه للدلالة الرمزية على تضامن الجزائريين مع أشقائهم المغاربة، لأن هذا اليوم الذي تم اختياره لتنفيذ هجمات عسكرية بالشمال القسنطيني بقيادة الشهيد زيغود يوسف يصادف الذكرى الثانية لخلع الملك المغربي محمد الخامس (20 أوت 1953) الذي نفي إلى جزيرة كورسيكا ثم إلى مدغشقر .

(26) نشرية نوفمبر 1955، ص105.

سيتحرر المغرب" (27) . كما قام العلماء بعد ذلك ببيع صور لسلطان المغرب
ولشخصيات عربية أخرى (28) .

3 - موقف جمعية العلماء من سياسة الاندماج :

إن تتبع محتوى الإصلاحات الفرنسية التي قامت بها فرنسا في الجزائر يسمح
بالوقوف على أنها كانت ترمي كلها إلى إدماج الجزائر في فرنسا، والحال هكذا
فان الجمعية وبالنظر إلى أسباب تأسيسها والأهداف التي كانت تسعى إلى تحقيقها
والتي لم تخرج في مجملها عن الحفاظ على الانتماء الحضاري للشعب الجزائري
وحمائته من الذوبان في المجتمع الفرنسي الغربي الغريب عنه، فإنها وقفت ضد
هذه الإصلاحات، وضد كل سياسة اندماجية . ومن هذا كله كان إنشاء جمعية
العلماء المسلمين في جوهره ومظهره رد فعل من الجزائريين رافض للاندماج .

لقد سجلت النشوية في هذا الصدد بعض مواقف الجمعية الراضة لهذا التوجه
الفرنسي في معالجة المشكل الجزائري سنوات 54- 55- 1956، حيث نقلت لنا
نشوية مارس 1955 نداء وجهه 32 أستاذ مصلح من مقاطعة قسنطينة للشعب
الجزائري وزع في مناشير، وكتب في جريدة "البصائر" في 11 مارس تضمن هذا
النداء فضح لتجاوزات الاستعمار (تمليك الأراضي للكولون، تحويل المساجد إلى
كنائس أو متاحف، تدخل الدولة في شؤون الدين ...)، وتصف النشوية هذا النداء
بأنه وقف بحزم أمام كل سياسة مشابهة، ومما جاء فيه أيضا : "أيها الشعب
الجزائري ! أنت لست أقل قيمة من الشعوب الأخرى الحرة، تاريخك وحضارتك
تمنحك اليوم الوعي وتعطيك الحق في العمل من أجل حريتك وكرامتك مثل باقي
الشعوب . أنت لست فرنسا ولا تريد أن تكون ولن تكون حتى إذا أردت، ولا

(27) نشوية ديسمبر 1955، ص114.

(28) نشوية فيفري 1956، ص9.

يمكنك أن تتدمج بسبب إرثك أيضا" (29)، لينتهي هذا النداء بتوجيه دعوة للجزائريين للتوحد من أجل مقاومة "الاندماج" (30) .

هذا وقد تعددت دعوات ونداءات الجمعية للجزائريين من أجل التمسك بهويتهم، وعدم الاغترار بالحضارة الغربية والذوبان فيها، بحيث قامت في فيفري 1955 بتوجيه تعليمة للشباب المسلمين بأن يسعوا إلى عدم التحدث بغير اللغة العربية وبأن يبتعدوا عن تقليد الأوروبيين في عاداتهم (31) . ونفس الشيء كان يقوم به الشيخ خير الدين الذي كان يدعو المسلمين بالمسجد الكبير إلى عدم استعمال غير العربية في المحادثة فيما بينهم، بل وحتى في العلامات التجارية (32)

لقد استمرت مواقف الجمعية الراضية للاندماج الناقدة للإصلاحات، من خلال كتابة مقالات في جريدة "البصائر" التي جاء في أحد مقالاتها (عدد 18 نوفمبر 1955) ما يلي: "... هل هناك رجل واحد يتخيل بأن المشكل الجزائري يمكن تسويته فقط من خلال وصفات فارغة من المعنى والمحتوى . من بينها "الاندماج" ... (33) . وبعد شهر واحد كتب مقال آخر بنفس الجريدة (عدد 09 ديسمبر) علق على هذه السياسة التي وصفها بأنها لا تعدو أن تكون إلا استهزاء وسخرية قبيحة ووقحة (34) .

(29) يبدو جليا بأن هذا النداء في جزئه الأخير مقتبس بدرجة كبيرة من المقال الذي كتبه الشيخ ابن باديس بمجلة "الشهاب" في أبريل 1936 للرد على فرحات عباس الذي كتب في جريدة "الوفاق" (فيفري 1936) "فرنسا هي أنا" .

(30) تشير النشرة إلى أن الحزب الشيوعي PCA قد تجاوز مع هذا النداء . أنظر : نشرة مارس 1955، ص44.

(31) نشرة فيفري 1955، ص15.

(32) نشرة أبريل 1955، ص56.

(33) نشرة نوفمبر 1955، ص104. وتجدر الإشارة فقط إلى أن هذا العدد تمت مصادرته من قبل الإدارة الفرنسية .

(34) نشرة ديسمبر 1955، ص113.

إن هذا الموقف كان مبني إلى حد بعيد على أساس نظرة الجمعية إلى الاستعمار الفرنسي بأنه هو المسؤول عن كل المآسي التي كانت تعاني منها الجزائر منذ 1830 جراء شنه الحرب على الدين الإسلامي وعلى اللغة العربية... وعلى كل المقومات الحضارية للشعب الجزائري، وكل محاولات طمس الهوية (35).

هذا وتغوص التشريعية في رصد موقف الجمعية من هذه السياسة الاندماجية والمشاريع الإصلاحية الفرنسية بشكل دقيق من خلال نقلها لوجهة نظر شيوخها حول الشكل والمحتوى اللذين يجب أن تأتي فيهما هذه الإصلاحات، حيث تنقل بأن العلماء بالجزائر أبدوا مناصرتهم لسياسة الوفاق المبنية على أساس الإصلاحات، شرط أن تكون هذه الأخيرة مبنية على أساس العدالة وعدم التحيز، وفي ظل نظام ديمقراطي حقيقي يعطي لكل قاطني الجزائر مكانتهم ويحفظ لهم كرامتهم. وهذا حسب ما جاء في الحملة التي قام بها العلماء مع مطلع سنة 1955 والتي كانت تدعو إلى سياسة ليبرالية تحررية (36). ورأوا بأن أي خروج عن هذا الإطار للإصلاحات يجعل منها لا تعدو أن تكون إلا تكريس لسياسة "الترقيع" التي تتجر عنها كوارث تزيد من تأزم الوضع بدل حله (37).

وتشرح أكثر تشريعية أبريل 1955 موقف العلماء من هذه القضية عندما قالت بأن العلماء يرون بأن الدواء أو العلاج المطلوب للاضطرابات التي تمر بها البلاد هو مرتبط بشجاعة تغيير النظام، وذلك بإعطاء الحق في تحقيق آمال الشعب الجزائري وإلغاء النظام الاستعماري المفروض بالقوة والظلم، والسماح للأمة بكاملها بأن تحل بنفسها المشاكل التي تعانيها (38). لتستنتج في الأخير بأن العلماء يريدون جزائر مستقلة هذا الاستقلال الذي لا يقصي أبدا العلاقات الاقتصادية مع

(35) نشريّة مارس 1954، ص24. وأيضاً : نشريّة ديسمبر 1955، ص113.

(36) نشريّة جانفي 1955، ص3.

(37) نشريّة ديسمبر 1955، ص113.

(38) نشريّة أبريل 1955، ص، ص54-55.

أوروبا وخصوصا استثمار رؤوس الأموال الفرنسية⁽³⁹⁾، لكن على الصعيد الثقافي والديني فالجزائر عربية ومسلمة، ونتيجة لهذا فهي تتجه نحو الدول الشقيقة لها بالشرق العربي لا نحو الغرب . ولم يذهب توفيق المدني بعيدا عن هذا عندما صرح في حوار مفتوح أجرته معه جريدة "الجزائر الجمهورية" " - Alger Républicain" عدد 28 أبريل 1955 بأن استقلال الدولة الجزائرية هو الحل الوحيد للمشكل الجزائري⁽⁴⁰⁾ .

وإلى هنا يظهر جليا تقطن الجمعية لأبعاد المشاريع الفرنسية الإصلاحية من جهة، وتمسكها بمبادئها وحيالها وحيال كل ما كان مطروحا على الساحة الوطنية آنذاك، لا سيما ما تعلق منها بالثوابت الوطنية ومقومات الشخصية الجزائرية، وهي في كل هذا تبقى وفية للنهج الذي رسمه لها رئيسها الأول الشيخ الإمام عبد الحميد ابن باديس .

إن تتبع محتوى تقارير الاستخبارات الفرنسية حول نشاط جمعية العلماء المسلمين ينهض دليلا قاطعا على انغماس جمعية العلماء في الحياة السياسية - دون أن تجهر بها صراحة - بشكل جعل ثوبها الثقافي عاجز عن ستره . ولعل مما بات مسلما به هو أن حتى النشاط الثقافي الجمعي الذي كانت تحترفه الجمعية في إطار قيامها بالتعليم والإرشاد والوعظ ... لم يكن يسعى سوى إلى تحقيق مشروع حضاري كبير هو التحرير والنهوض بالأمة الجزائرية العربية الإسلامية، الأمر الذي لم يكن ليتأتى بعيدا عن السياسية أو بمعزل عنها، في ظل الظروف الاستعمارية التي كانت تعيش فيها الجزائر .

(39) لاحظ بعد النظر بالنسبة للعلماء في تصورهم لشكل الدولة الجزائرية المستقبلية أين لم ينفوا الدور الأوروبي وحاجة الجزائر إليه بعد الاستقلال، والتي حالها اليوم يكاد يكون مطابقا لهذا التصور .
(40) نشرية ماي - جوان 1955، ص 68. إن ما تجدر الإشارة إليه هنا، هو أن كل دعوة من العلماء لاستقلال الجزائر كانت تربط بشرط التفاوض مع الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري، الذين كانوا في نظر الجمعية هم المحاربين الذين يتحملون كل الأعباء، أو مع ممثلهم (جبهة التحرير)، وهذا أمر في غاية الأهمية يبين التزام الجمعية بالمبادئ الأساسية للثورة حتى قبل الإعلان الرسمي عن الالتحاق بها، كما يؤكد قطع الجمعية الطريق أمام بعض المحاولات الفرنسية التي كانت تسعى للانفراد ببعض الشخصيات البارزة في الجمعية وفي بعض الأحزاب الأخرى . أنظر في هذا : نشرية نوفمبر 1955، ص 104. ونشرية جانفي 1956، ص 3. ونشرية فيفري 1956، ص 9 .